

## حول ثورتنا

فلاديمير لينين

١٩٢٣

### ١

تصفحت هذه الأيام مذكرات سوخانوف عن الثورة. إن ما يبرز بخاصة، إنما هو حذقة جميع ديموقراطيين البرجوازيين الصغار، مثلهم مثل جميع فرسان الأممية الثانية.

إن ما يبرز بخاصة، إنما هو تقليدهم الذليل للماضي، هذا فضلا عن أنهم جبناء إلى حد لا يصدق، حتى أن خيرتهم يناورون و يتهربون ما أن يكون المقصود أقل ابتعاد عن النموذج الألماني، هذا فضلا عن هذه الصفة من طباع جميع الديموقراطيين البرجوازيين الصغار، التي أبدوها كفاية طوال الثورة.

جميعهم يقولون عن أنفسهم أنهم ماركسيين و لكنهم يفهمون الماركسية بأكثر ما يمكن من الحذقة. إنهم لم يفهموا قط ما في الماركسية من أساسي، أي ديالكتيكها الثوري.

إنهم لم يفهموا إطلاقا حتى إشارات ماركس الصريحة، حيث قال أنه ينبغي الحد الأقصى من المرونة في أيام الثورة، بل إنهم لم يلاحظوا، مثلا، اشارات ماركس في مراسلته التي تعود، كما أذكر، إلى عام ١٨٥٦، حيث أعرب عن الأمل بأن يتحقق في ألمانيا اتحاد حرب الفلاحين، القادرة على خلق وضع ثوري، مع الحركة العمالية. حتى هذه الإشارة الصريحة، يتهربون منها و يطمسونها، و يدورون حولها كما يفعل القط حول مرق ساخن.

إنهم بكل سلوكهم ، يبدون إصلاحيين رعايد يخافون الابتعاد عن البرجوازية ، و بالأحرى ، قطع كل صلة بها ، وهم في الوقت نفسه ، يغطون جبانتهم وراء غلو في التبجح و في استعمال الجمل الطنانة. و لكن ما يبرز لديهم جميعهم حتى من الناحية النظرية الصرف ، إنما هو عجزهم الكلي عن فهم الفكرتين التاليتين من أفكار الماركسية ، ذلك أنهم رأوا أن تطور الرأسمالية و الديموقراطية البرجوازية قد اتبع، حتى الآن ، طريقا معينا في أوروبا الغربية . وها هم لا يستطيعون أن يتصوروا أنه يمكن اعتبار هذه الطريق نموذجا ، شرط تغيير ما يجب تغييره ، شرط إجراء بعض التغييرات (الزهيدة تماما من وجهة نظر حركة التاريخ العالمي العامة) .

أولا ، الثورة المرتبطة بالحرب الامبريالية العالمية الأولى . في مثل هذه الثورة ، كان لابد أن تبرز ميزات جديدة ، او ميزات معدلة بسبب هذه الحرب على وجه الضبط ، لانه لم تقع قط في العالم ، فيما مضى ، حرب كهذه وفي ظروف كهذه. وإنما نرى حتى اليوم أن برجوازية أغنى البلدان لا تستطيع، بعد هذه الحرب ، أن تنظم علاقات برجوازية "عادية" ، "طبيعية" . و الحال ، أن إصلاحيينا ، هؤلاء البرجوازيين الصغار الذين يظهرون أنفسهم بمظهر ثوريين ، كانوا و ما يزالون يعتبرون أن العلاقات البرجوازية الطبيعية تشكل حدا (لا يمكن تجاوزه) وهم يتصورون هذه "الطبيعة" بأقصى ما يكون من الابتذال و ضيق الأفق.

ثانيا ، سنة التطور العامة في التاريخ العالمي كله ، لا تستبعد ، بل بالعكس ، تفترض بعض مراحل أصيلة من التطور ، إما من حيث شكل التطور ، وإما من حيث تسلسل مراحلها - ، وهذه الفكرة غريبة عنهم إطلاقا . حتى أنه لا يخطر ببالهم ، أن روسيا الواقعة بين بلدان متمدنة و بين بلدان حملتها هذه الحرب ، للمرة الأولى ، و بصورة نهائية ، إلى المدنية ، أي بلدان الشرق كله ، البلدان غير الأوروبية ، - إن روسيا كانت تستطيع بالتالي و كان يجب عليها أن تقدم بعض الميزات الخاصة التي تقع ، بالطبع ، في الخط العام للتطور العالمي ، و لكنها تميز

ثورتها عن جميع الثورات السابقة في بلدان أوروبا الغربية و تحمل بعض التجديدات الجزئية ما إن يتعلق الأمر بالبلدان الشرقية .

و هكذا نراهم يستشهدون بذريعة في أقصى الابتذال حفظوها غيبا خلال تطور الإشتراكية-الديموقراطية في أوروبا الغربية ، و قوامها القول أننا لم ننضج للإشتراكية ، و أننا لا نملك المقدمات الاقتصادية الموضوعية للإشتراكية ، حسب تعبير بعض السادة من "علماء"هم . ولا يخطر على بال أحد أن يتسائل : إذا ما جابه شعب و ضعا ثوريا كالوضع الذي تبدى لدن الحرب الامبريالية الأولى ، أليس بوسع هذا الشعب أن يندفع ، تحت طائلة حالة لا مخرج منها ، إلى خوض نضال يوفر له ولو بعض الأمل بالظفر بشروط غير مألوفة تماما من أجل تطوير مدنيته ؟

"إن روسيا لم تبلغ ، من حيث تطور القوى المنتجة ، الدرجة الضرورية التي تجعل الإشتراكية أمرا ممكنا" . إن هذه الموضوعه ، إنما يبرزها و يتباها بها جميع فرسان الأممية الثانية ، بمن فيهم سوخانوف ، طبعاً . هذه الموضوعه التي لا جدال حولها ، إنما يلوكونها و يكررونها بمختلف الأشكال و يبدو لهم أنها حاسمة لتقدير ثورتنا .

و لكن ، ماذا إذا كان تراكم أصيل من الظروف قد قاد روسيا في بادئ الأمر إلى الحرب الامبريالية العالمية التي اشتركت فيها جميع بلدان أوروبا الغربية ، التي تتمتع ولو ببعض النفوذ، وإذا كان ذلك قد قاد تطور روسيا على حافة الثورات الناشئة و الثورات التي بدأت جزئياً في الشرق ، إلى ظروف تتيح لنا أن نحقق بالضبط هذا الاتحاد بين "حرب الفلاحين" و الحركة العمالية ، الذي كان يعتبره "ماركسي" كماركس ، في ١٨٥٦ ، احتمالاً من الاحتمالات الممكنة بالنسبة لبروسيا؟

و ماذا إذا كان الوضع الذي لا مخرج منه إطلاقاً ، قد ضاعف قوى العمال و الفلاحين عشر مرات ، فأتاح لنا إمكانية الشروع بتوفير المقدمات الأساسية للمدنية ،

على نحو غير النحو الذي نحتة جميع الدول الأخرى في أوروبا الغربية ؟ فهل تعدل من جراء ذلك الخط العام لتطور التاريخ العالمي ؟ هل تغيرت النسب الأساسية بين الطبقات الأساسية في كل دولة تنجر أو انجرت في حركة التاريخ العالمي العامة ؟

إذا كان ينبغي ، في سبيل تحقيق الاشتراكية ، بلوغ مستوى معين من الثقافة (مع العلم أنه ما من أحد يستطيع أن يقول بدقة ما هو هذا "المستوى" المعين من "الثقافة" ، لأنه يختلف في كل من دول أوروبا الغربية) ، فلماذا لا يمكن لنا أن نبدأ أولاً بالظفر ، عن طريق الثورة ، بالشروط المسبقة لهذا المستوى المعين ، لكي نتحرك فيما بعد للحاق بالشعوب الأخرى ، مستندين إلى حكم العمال و الفلاحين و إلى النظام السوفييتي ؟

١٦ كانون الثاني ( يناير ) ١٩٢٣ .

## ٢

تقولون : لأجل بناء الاشتراكية ، ينبغي أن نكون متمدنين . جيد جدا . و لكن ، لم لا نستطيع أن نبدأ بتوفير هذه الشروط المسبقة للمدنية عندنا كطرد الملاكين العقاريين و طرد الرأسماليين الروس لكي نبدأ سيرنا بعد ذلك نحو الاشتراكية ؟ في أية كتب قرأتم أن مثل هذه التغييرات في التسلسل التاريخي العادي هي أمر غير مقبول أو غير ممكن ؟

أذكر أن نابليون قال : «On s'engage et puis... on voit»

وهذا يعني بالترجمة الحرة : "أولا ، يدخل المرء معركة جدية ثم . . . يرى" .  
وهذا ما فعلناه:

اولا ، دخلنا معركة جدية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، ثم بين لنا مجرى الاحداث تفاصيل (ليست بلا ريب ، من وجهة نظر التاريخ العالمي، سوى تفاصيل)

كصلح بريست او النيب (السياسة الاقتصادية الجديدة) ، الخ .. ولا سبيل الى الشك ،  
في الوقت الحاضر ، أننا من حيث الاساس ، قد أحرزنا النصر .

غير ان سوخانوف وأضرابه في بلادنا ، وبالاحرى الاشتراكيين-الديمقراطيين  
الواقفين أبعد منهم الى اليمين ،حتى لا يحزرون انه لا يمكن للثورات ، بوجه عام،  
ان تتم على نحو آخر. بل ان برجوازيينا الصغار الاوروبيين حتى لا يحزرون ان  
الثورات اللاحقة – في بلدان الشرق حيث عدد السكان أكثر الى ما لا حد له وحيث  
الاضاع الاجتماعية أكثر تنوعا الى ما لا حد له ، – ستفاجئهم ، بكل تأكيد ، بقدر  
من الميزات الخاصة أكثر بكثير مما أعطته الثورة الروسية .

يقينا ان الكتاب الدراسي الموضوع حسب كاوتسكي ، قد كان جد مفيد في حينه .  
ولكنه آن الأوان ، في الحقيقة ، للتخلي عن الفكرة التي تزعم ان هذا الكتاب قد توقع  
جميع أشكال التطور اللاحق في التاريخ العالمي . ان من يعتقدون ذلك ، انما أن  
الأوان لنعتهم بكل بساطة بأنهم أغبياء .

١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣

المجلد ٤٥ ، ص ٣٧٨ - ٣٨٢